المجلة الدولية للإتصال الإجتماعي
ISSN : 2437 – 1181
EISSN : 2710 – 8139

جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
المجلد: 13 / العدد: 02 (2026)، ص 247 - ص 259

الحفاظ على الذاكرة الوطنية من خلال الأفلام الوثائقية التاريخية -دراسة تحليلية للفلم الوثائقي ثورة الزعاطشة-

Preserving National Memory through Historical Documentary Films: An Analytical Study of the Documentary Film the Zaatcha Revolution-

جهاد صحراوي* [1]، وليد شايب الدراع[2]

[1] جامعة يحي فارس بالمدية (الجزائر)، Sahraoui.djihad@univ-medea.dz https://orcid.org/0009-0002-0929-5207

[2] جامعة محمد الصديق بن يحي (الجزائر)، walid.chaibeddra@univ-jijel.dz https://orcid.org/0009-0002-9901-9707

تاريخ الاستلام: 2026/01/13 تاريخ القبول: 2026/03/31 تاريخ النشر: 2026/06/30

Doi: 10.53284/2120-013-002-015

ملخص:

تتمحور هذه الدراسة حول موضوع الحفاظ على الذاكرة الوطنية للمجتمع الجزائري من خلال الأفلام الوثائقية التاريخية، والكيفية التي يتم من خلالها انتاج هذه الأفلام التاريخية بشكل ابداعي يقترب من الواقع السائد في مرحلة معينة من الزمن من خلال المواضيع المتضمنة في محتوى الفيلم بالإضافة الى أهم الشخصيات التي يتم الاستعانة بها لسرد الأحداث التاريخية التي يتعلق بها الفيلم، بالإضافة الأهداف التي يسعى منتجو الفيلم لتحقيقها عند المجتمع المتلقي، وللكشف عن ذلك تم الاستعانة بتقنية تحليل المحتوى الكمي للفيلم الوثائقي مقاومة الزعاطشة 1849 حرب الابادة، وهو الذي يحقق أهداف الدراسة نظرا لحداثته وأيضا لجمعه بين شقين من الذاكرة التاريخية: المقاومة الشعبية والابادة الجماعية التي مارسها الاستعمار انتقاما من هذه المقاومة.

كلمات مفتاحية: المقاومة الشعبية؛ الفيلم الوثائقي التاريخي؛ الذاكرة الجزائرية؛ مقاومة الزعاطشة؛ الإبادة الجماعية.

Abstract:

This study centres on preserving the national memory of Algerian society through historical documentaries. It explores the creative process of producing these films in a way that closely reflects the realities of specific historical periods. This goal is achieved through the topics covered in the film's content and the prominent figures whose narratives are used to convey the historical events depicted. Additionally, the study examines the objectives that film producers aim to achieve in relation to the audience. To uncover these aspects, the quantitative content analysis technique was applied to the documentary film The Zaatcha Resistance 1849: The War of Extermination, which aligns with the study's goals due to its recent production and its dual representation of historical memory: popular resistance and the genocide carried out by colonial forces in retaliation for this resistance.

Keywords: Popular Resistance; Historical Documentary Film; Algerian Memory; The Zaatcha Resistance; Genocide.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

تحاول العديد من البلدان اليوم العمل على إعادة إحياء تاريخها والمحافظة عليه، من خلال إنتاج أفلام تاريخية توثق لتلك المرحلة من الزمن، وهذا انطلاقا من قراءة التاريخ وتحويله إلى واقع في شكل درامي فني، لتمكن شعوبها من التعرف على تاريخها بواسطة محاكات تلك الحقب الزمانية بطريقة تجعل المتلقي وكأنه يعيش تلك المرحلة الزمانية في الواقع، من خلال وجهة نظر كاتب سيناريو الفيلم ومخرجه، والتوجه العام للقناة المنتجة.

فأن يلاقي الفيلم رواجا كبيرا وتقبل من قبل جمهوره فهذا هذا يعود لقدرات من عملوا على بناء تاريخ تلك المرحلة من خلال قراءتهم للتاريخ من كل جوانبه، حتى يقدموا مادة إعلامية تزيح اللبس والستار عن تلك المراحل من التاريخ والتي من الممكن في بعض الأحيان أن تكون غامضة أو يكتنفها بعض اللبس نظرا لمحدودية الوصول إلى مصادر للاطلاع عليها من قبل العامة وفي نفس الوقت من أجل المحافظة عليها من خلال وضعها في قالب سمعي بصري ليستمر الاطلاع عليها لأجيال عديدة مستقبلا، فيصبح الفيلم التاريخي مصدرا من مصادر قراءة التاريخ لدى العامة، وتكوين رأي عام حول ما حدث في تلك المرحلة التاريخية، ولعل من أصعب المراحل التي يمكن أن يتحدث عنها الفيلم السينمائي التاريخي هي تاريخ الثورات ضد الاستعمار، نظرا لما يشوب هذا التاريخ من تزييف وتغيير خاصة من قبل المستعمر الذي يعمل على محو كل ما يشكل دليلا على جرائمه وممارساته الشنيعة بأبناء تلك المناطق المستعمرة.

عندما نتحدث أيضا الفيلم السنيمائي لابد لنا وأن نتطرق الى الفيلم الوثائقي التاريخي كنوع من السينما التي تعيد تشكيل التاريخ في قالب روائي يساهم في زيادة ارتباط الشعوب بتاريخها، إذ يتم تصوير التاريخ من خلال بعض المشاهد التمثيلية لما حدث بالفعل مع شهادة بعض المؤرخين وأبناء المناطق التي يستهدف الفيلم الوثائقي إعادة تصوير تاريخها.

حينما نعود إلى الجزائر نجد أن هناك الكثير من الجهود الممارسة من قبل العديد من الأفراد والمؤسسات التابعة للدولة التي تعمل في صمت على إعادة بناء تاريخ هذا الوطن، خاصة ما يتعلق بفترة حساسة جدا، وهي مرحلة الاستعمار الفرنسي للجزائر، وتعيد بناء ما يتعلق بذاكرتها المؤلمة جدا، خصوصا حينما يتعلق الأمر بالإبادة الجماعية لكل من قاوم ورفع السلاح ضد المستعمر، وفي نفس الوقت المحافظة عليها لتبقى حاضرة في ذاكرة الأجيال القادمة.

إذ نقترح عليكم هنا قراءة تحليلية لواحد من الأفلام الوثائقية حول مرحلة تاريخية مهمة جدا وهي مرحلة المقاومات الشعبية والتي انتهت معظمها بحرب إبادة جماعية، ليست على البشر فقط بل على الحيوان والنبات، حتى يمحو المستعمر كل ما له علاقة بتلك المقاومات. إنه فيلم "ثورة الزعاطشة 1849: حرب الإبادة"، والذي تمحور حول المرحلة التاريخية لقيادة الشيخ بوزيان للثورة ضد المستعمر الفرنسي لمدة ستة أشهر في منطقة الزيبان، كما يعمل على تصوير الإبادة الجماعية والوحشية التي تعرض لها سكان تلك المنطقة، وعلى هذا يمكن لنا طرح الإشكال التالي: كيف **تحافظ الأفلام الوثائقية الجزائرية على الذاكرة الوطنية؟**

ومن خلال هذا الإشكال يمكن لنا أن نطرح مجموعة من الأسئلة الفرعية التي تعبر عن فئات التحليل المستهدف جمعها من هذا الفيلم.

1- ما هي المواضيع التاريخية التي عالجها الفيلم الوثائقي ثورة الزعاطشة؟

2- ما الأهداف المضمنة في فيلم ثورة الزعاطشة؟

3- ما نوع المصادر التاريخية المستشهد بها في فيلم ثورة الزعاطشة؟

4- ما طبيعة الشخصيات التي شاركت في فيلم ثورة الزعاطشة؟

5- ما القيم التي يحملها فيلم ثورة الزعاطشة؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة الى تحليل الفيلم الوثائقي التاريخي ثورة الزعاطشة من أجل التعرف على كيفية معالجتها لموضوع المقاومات الشعبية والابادة التي لحقت كل من قاوم المستعمر الفرنسي وهذا للوصول إلى تحقيق الأهداف التالية:

- التعرف على أهم المواضيع التاريخية التي عالجها الفيلم الوثائقي ثورة الزعاطشة.
- الكشف عن الأهداف المضمنة في فيلم ثورة الزعاطشة.
- معرفة نوع المصادر التاريخية المستشهد بها في فيلم ثورة الزعاطشة.
- التعرف عن الشخصيات التي شاركت في فيلم ثورة الزعاطشة.
- الكشف عن أهم القيم التي يحملها فيلم ثورة الزعاطشة.

2. الإطار النظري للدراسة:

2.1 الفيلم الوثائقي:

إن الأفلام الوثائقية تعد شكل تعبيري يرصد الجوانب والصور من الحياة اليومية لقضية ما، فهي النمط الفني الذي يحمل في طياته الجمالية بكل الصور المرئية بوصفها خطابا متفاعلا عن الواقع ،وللوثائقي منهجية علمية في الإنتاج، فإذا كان عموده الفقري الواقعية فان للثقافة الفنية دور بارز لا مناص منه (نريمان، 2016)، وكان أول تعريف للفيلم الوثائقي ظهر مع المقال الذي كتبه جون غريرسون John Grierson في مجلة نيويورك من New York son فيفر 1926: والذي عرفه على "أنه معالجة الأحداث الواقعية الجارية وفيه خلق فني" (خديجة، 2021) بمعنى أن الفيلم الوثائق عبار عن عملية تصوير للواقع اليومي في شكل درامي بنوع من الإبداع الفني الذي يجعل هذا الواقع يظهر بشكل جمالي.

2.2 المقاومات الشعبية:

هي فعل إنساني إرادي واعي ومسؤول لمواجهة كل أشكال العدوان، وإحقاق الحق وحمايته والحفاظ على الوجود والعيش بكرامة وحرية، بمعنى أن المقاومة إنسانية ليست مجرد مجابهة غريزية للعدو الغازي، وليست مجرد عنف، إنها دفاع مشروع عن حياة ضد من يعمل على قتلها، واجتثاث القيم الإنسانية النبيلة، فإذا كان الصراع حول المصالح والهيمنة نتيجة استعمال القوة الغاشمة فان المقاومة خلاصة منطقية وموضوعية الإرادة الحق، والتصميم على احترام القيم النبيلة، والمبادئ الثابتة في الحق والخير والجمال.

ويقصد أيضا بالمقاومة والحركات المنظمة لها بأنها عبارة عن منظمات شعبية أخذت على عاتقها مهمة تحرير شعوبها وأوطانها من التواجد العسكري الأجنبي فوق ترابها، وتستمد المقاومة شرعيتها من تأييد الجماهير لها، وتتخذ عادة من أقاليم البلاد المحيطة حرما لها تستمد منها وتدريب فواتها كما تعتبر المقاومة الشعبية بأنها منظمات وطنية ذات أجنحة سياسية ودنية وعسكرية تنشا في البلدان

المستعمرة، تقود كفاحا مسلحا من أجل التحرر وحق تقرير المصير، وهدفها الضغط على المعتدي وإجباره على التنازل عن أرضي التي يحتلها أو وقف عدوانه وتستعمل كل الوسائل بما فيها القوة المسلحة لدرء العدوان، وإزالة الاحتلال والاستعمار، وتحقيق الاستقلال ورفع الظلم المستود بالقوة المسلحة (بشرى)

2.3 ثورة الزعاطشة:

عرفت الجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين عدة ثورات شعبية خالدة، منها ثورة الزعاطشة التي تعد حلقة مضيئة من سلسلة بطولات الشعب الجزائري الذي ثار من أجل استعادة حريته وكرامته، وجاهد لطرد الغاصب المحتل، وعدم السماح له بالتغلغل داخل الوطن، وكما هو معروف فإن الثورات والحروب تمر حتما بالخطوات الأساسية بدأ بالأسباب والمراحل ثم النتائج، وهكذا تظافرت كل هذه العوامل لاندلاع الثورة، والتي أشعل فتيلها ..تصرفات وعجرفة الملازم سيروكا SEROKA حيث لاحظت السلطات الفرنسية نشاطا متزايدا للشيخ بوزيان الذي استدعى رؤساء القبائل والأعراش فتوافدت عليه الوفود من كل جهة لتدارس الأوضاع، ولتهيئة الشروط الضرورية للثورة كجمع والمال وشراء السلاح وتخزين المؤن وغير ذلك، وأقيمت بهذه المناسبة الولائم وذبحت والذبائح وانتشرت البهجة والأفراح للخلاص من كابوس الاحتلال الفرنسي (إبراهيم، 2000)، واستمرت هذه المقاومة حوالي أربعة أشهر من منتصف شهر جويلية الى نهاية شهر نوفمبر من سنة 1849، وكانت نهايتها مأسوية جدا حيث أباد الاستعمار الفرنسي كل سكانها ودفن جزء كبيرا منهم تحت الأنقاض.

2.4 الفيلم الوثائقي ثورة الزعاطشة:

عمل من إنتاج التلفزيون العمومي وإخراج الإعلامي فاروق معزوزي، استغرق سنتين، في رصد تفاصيل مثيرة لثورة الزعاطشة، يوثق العمل التاريخي بشاعة الإجرام الفرنسي وصمود المقاومين الأسطوري، حيث يتناول هذا العمل، كيف قاد الشيخ بوزيان ثورة ضد المستعمر الفرنسي لمدة ستة أشهر، كما يصور الإبادة الجماعية التي تعرض لها سكان" الزيبان"، شرق البلاد.

ثورة الزعاطشة هي حلقة في مسلسل طويل يضم حلقات الترويع والتهجير الذي طال الشعب الجزائري خلال أكثر من 130 سنة من الاستعمار، فلم يستكين للظلم بشتى أنواعه، من تهجير، وترهيب وتنكيل وتقتيل وإبادة، وتعد هذه الملحمة التاريخية أحد أوجه التوثيق للتاريخ الذي لم ينحصِر بين مادة تسافر بين الأفراد، بل تقوم بدور الوفاء للزمن والتاريخ ولمن صنعوا أحد فصول أمجاد البلاد، وللثورات الشعبية الأخرى دليل على المقاومة التي استمرت إلى غاية نيل الحرية. (الجزائر، 2024).

3. الإطار المنهجي للدراسة:

1.3 منهج الدراسة وأدواته:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج المسحي، والذي يندرج ضمن البحوث الوصفية التي تصف الظاهرة محل الدراسة من حيث خصائصها ومكوناتها الظاهرية والانتقال إلى خصائصها ومكوناتها الداخلية، ولقد اخترنا هذا المنهج وفق للعديد من الاعتبارات المرتبطة بنوع الدراسة والظاهرة المدروسة والذي يتلاءم الكشف عنها مع متطلبات هذا المنهج، إذ يعتبر على أنه محاولة منظمة لتقدير وتصوير الوضع الراهن لنظام اجتماعي في الوقت الحاضر بهدف التوصل إلى بيانات مصنفة ومرتبة يمكن الاستفادة منها

مستقبلا (الرزاق، 2012) ، وأيضا هو من بين أهم المناهج المستخدمة في الدراسات الإعلامية والاتصالية من خلا مسح الجمهور أو المحتوى الإعلامي.

وبما أن الدراسة التي سنقوم بها لا تتطلب مسح جمهور أو مسح مؤسسات بل مسح محتوى إعلامي مختار بعناية بما يتناسب مع موضع الدراسة، حيث سنعتمد على أداة تحليل المضمون على اعتبار أنها واحدة من بين أهم الأدوات في المنهج المسحي والتي تركز بشكل كبير على المادة الإعلامية، من خلال التعرف على المحتوى واستخراج أهم الفئات المراد تحليلها ثم العمل على تكميمها وإعادة تحليلها من أجل الوصول إلى نتائج جيدة حول الموضوع المدروس، وهذا لأنها بمثابة تقنية بحث يمكن الاعتماد عليها لمقاربة كل أنواع التعبير الاتصالي للرسائل، عن طريق تصنيف وتبويب المادة الإعلامية في شكل فئات محددة وبسيطة وتكميمها، لإعادة بناء الاستدلالات الكامنة بين النص والسياق الذي أنتج فيه (تمار، 2017).

تم الاعتماد على أسلوب العينة القصدية في تحديد الفيلم محل الدراسة وهذا حسب نوع المحتويات التي تم عرضها في هذا الفيلم الوثائقي التاريخي وملائمتها مع الظاهرة المدروسة، إذ أنها أسلوب معاينة غير احتمالي، يتم فيه اختيار العناصر من المجتمع المستهدف على أساس مطابقتها وملائمتها لأهداف الدراسة (دانيال، 2015) وهذا من خلال اختيار فيلم وثائقي معبر بشكل كبير عن عملية التوثيق للأحداث التاريخية للمقاومات الشعبية ونشرها للجمهور من أجل المحافظة على الذاكرة الوطنية ثابته في مخيلة الجمهور المتلقي خاصة ما يتعلق بالمقاومات الشعبية للاستعمار الفرنسي، حيث تم اختيار الفيلم الوثائقي ثورة الزعاطشة: حرب الإبادة بجزئيه الأول: الحرب، والثاني: الإبادة، من إنتاج المؤسسة العمومية للتلفزيون الجزائري.

2.3 فئات التحليل:

اعتمدنا على مجموعة من الفئات التحليلية الخاصة بالشكل والمضمون والتي وجدنها حاضرة بقوة في المحتوى محل التحليل وأيضا بناء على ما تم تحديده في أهداف الدراسة، وهذه أهم فئات التحليل التي تم توظيفها في تحليل مضمون هذا الفيلم بجزئيه الأول والثاني، نعرضها فيما يلي:

- **فئة المواضيع:** ونقصد بها نوعية المواضيع التي تمحور حولها الفيلم محل الدراسة وتمركزت حول المقاومات الشعبية، المجازر والإبادة الجامعية التي مارسها الاستعمار على الشعوب المقاومة له، وتقسم هذه الفئة نظرا لأهميتها الي فئتين فرعيتين
  - ✓ **فئة موضوع المقاومة:** ونعني به الأشكال التي اتخذتها المقاومة الشعبية وهي مقسمة الى دينية، ثقافية، عسكرية.
  - ✓ **فئة موضوع الإبادة:** ونعنى بها نوع الإبادة الممارسة على حركات المقاومة الشعبية من تدمير منازل، حرق وقطع مصادر العيش، إعدام جماعي للمقومين والنساء والأطفال
- **فئة مصدر المعلومات:** ونقصد بها مصادر المعلومات التي تم تضمينها في الفيلم الوثائقي من مؤرخين، مذكرات مجاهدين، مذكرات وكتبات لجنود فرنسيين
- **فئة الشخصيات الفاعلة:** وتتمثل في مجمل الشخصيات التي تم التركيز عيها في أحداث الفيلم الوثائقي من شخصيات أكاديمية وجامعية، ممثلون مسرحيون، أبناء المنطقة التي حدثت فيها المقاومة الشعبية

- **فئة الأهداف:** وهي ما يطمح محتوى هذا الفيلم الوثائقي الى تحقيقه من خلال المعلومات التي يحملها لدى المشاهد الجزائري بشكل خاص مثل توثيق علاقة المواطن الجزائري بتاريخه، إعادة تصوير التاريخي في شكل درامي، تكوين رأي عام حول تلك المرحلة.
- **فئة القيم التاريخية:** وهي ما يحمله الفيلم من قيم تاريخية ويحاول ترسيخه لدى الجمهور المتلقي من مقاومة، صمود، ترابط اجتماعي، بطولات الأجداد.
- **فئة الخلفية المرجعية:** وهي الخلفية المرجعية التي انطلق منها الفيلم الوثائقي والتي تتضح في كامل مسار الفيلم كالتاريخ الجزائري بوصفه شيء مقدس، بالإضافة الى نبذ الاستعمار وإظهار مقدار وحشيته للعالم.

وحدات التحليل: اعتمدنا في تحليل الفيلم الوثائقي محل الدراسة على وحدة الفكرة كونها تعطي الكثير من المعاني للموضوعات التي تم التركيز عليها في الفيلم الوثائقي وأهدافها وأهم القيم التاريخية التي تنقلها عن تلك المرحلة من الزمن: مرحلة المقاومات الشعبية.

الإطار الميداني للدراسة:

الدراسة التحليلية للبيانات:

الجدول الأول: بطاقة تعريفية بالفيلم الوثائقي عينة الدراسة

عنوان الفيلم	المؤسسة المنتجة	المخرج	عدد الأجزاء ومدتها	اللغة
ثورة الزعاطشة: حرب الإبادة	المؤسسة العمومية للتلفزيون الجزائري	الإعلامي فاروق معزوزي	جزئين الأول تمحور حول الحرب والمقاومة وكانت مدته 01:10:26 ساعة واحدة وعشر دقائق والثاني تعلق بالإبادة التي مارست على أهالي منطقة المقاومة وكانت مدته أربع وخمسون دقيقة 54:13.	العربية

جدول يمثل بطاقة تعريفية للفيلم الذي تم تحليله، احتوت على عنوان الفيلم والمؤسسة المنتجة له والإعلامي المخرج، بالإضافة الى عدد أجزائه ومدة كل جزء وأيضا لغة الفيلم والتي كانت العربية.

الجدول الثاني: أهم المواضيع التي تناولها الفيلم الوثائقي محل الدراسة

أهم المواضيع	التكرار	النسبة
المقاومة الشعبية	60	%53.1
الابادة الجماعية	53	%46.9

المجموع	113	%100

من خلال الجدول الموضح أعلام والمتعلق بأهم المواضيع التي تناولها الفيلم الوثائقي محل الدراسة نجد أن موضوع المقاومة الشعبية جاء في المرتبة الأولى بنسبة 53.1% من مجموع المواضيع المتضمنة في الفيلم، بينما جاء في المرتبة الثانية موضوع الإبادة الجماعية بنسبة 46.9% من مجموع هذه المواضيع، وهذا نظرا لأن كل من الموضوعين بالغين الأهمية خاصة في المقاومة التي يتحدث عنها الفيلم مقاومة الزعاطشة، والتي اجتمع فيهما الموضوعين معا من خلال فعل المقاومة الذي أعلنه الشيخ بوزيان في تلك المرحلة وطريقة دعوته لها بالجهاد المقدس، من خلال الوقوف الباسل في وجه المستعمر بكل الطرق، واتضح هذا في كامل الجزء الأول للفيلم الوثائقي، لكن هذه الدعوة للمقومة واشهار السلاح في وجه المستعمر كانت لها نتيجة وخيمة جدا، وهي تعرض كامل قرية الزعاطشة الى إبادة جماعية قاصية أنهت شعب كاملا من الوجود كما ينقل الفيلم في جزئه الثاني والذي عنونه بالإبادة.

بمعنى أن الفيلم الوثائقي مقاومة الزعاطشة قد لخص في جزئيه الأول والثاني ما تعرضت له منطقة الزعاطشة من إبادة جماعية من قبل المستعمر ردا على فعل المقاومة الذي قامت به تلك المنطقة.

الجدول الثالث: أشكال المقاومة التي تم الحديث عنها في الفيلم الوثائقي محل الدراسة

المقاومة الشعبية	التكرار	النسبة
دينية	21	%35
ثقافية	8	%13.3
عسكرية	31	%51.7
المجموع	60	%100

انطلاقا من الجدول الموضح أعلاه والمتعلق بأشكال المقاومة التي تم الحديث عنها في الفيلم الوثائقي، نجد أن المقاومة العسكرية كانت في الصدارة بنسبة 51.7% من مجمل أنواع المقومة المذكورة، وجاءت المقاومة الدينية في المرتبة الثانية بنسبة 35% من مجمل أنواع المقاومة، وجاءت أخير المقاومة الثقافية بنسبة 13.3% من مجمل أنواع المقاومة المذكورة، وهنا نجد أنه حينما يتم الحديث عن مقاومة شعبية جزائرية فالأمر لا يقتصر على شكل واحد لها فقط بل إنها متعددة الأشكال بدأ بالمقاومة الدينية من خلال المحافظة على معالم الدين الإسلامي، ونجد هذا يتضح أيضا في مراسلات الشيخ بوزيان مع شيوخ الزوايا الموجودة في المنطقة والتي تبرز حسب المؤرخ ستار أوعثماني دور الجهاد في سبيل الله كعامل مهم وراء اندفاع الناس لمناصرة الثورة والمقاومة (أوعثماني، 2023)، وهذا يبرز أيضا في الفيلم من خلال سرد رؤيته للرسول صلى الله عليه وسلم وأمره بالدعوة للجهاد في سبيل الله، ثم المقاومة الثقافية من خلال المحافظة على عادات وتقاليد المجتمع وصولا إلى المقاومة العسكرية التي تتم من خلال القتال الباسل في أرض الميدان والتفاف الجزائريين حول قادة هذه المقاومات والصمود للنهاية.

الجدول الرابع: أنواع الابادة الجماعية التي تم الحديث عنها في الفيلم الوثائقي محل الدراسة:

الابادة الجماعية	التكرار	النسبة
تدمير المنازل	14	%26.4
حرق وقطع الأرزاق	10	%18.9

اعدام جماعي وتنكيل بالجثث	29	%54.7
المجموع	53	%100

من خلال الجدول الموضح أعلاه والمتعلق بأنواع الإبادة الجماعية التي تم الحديث عنها في الفيلم الوثائقي محل الدراسة، نجد أن الإبادة من خلال الاعدام الجماعي والتنكيل بالجثث كانت حاضرة بقوة في الفيلم بنسبة 54.7% من أنواع الإبادة المتحدث عنها، وجاءت في المرتبة الثانية ممارسة الإبادة من خلال تدمير المنازل بنسبة 26.4% من أنواع الإبادة المتحدث عنها، وأخير ممارسة الابادة من خلال حرق وقطع الأرزاق بنسبة 18.9% من أنواع الإبادة المتحدث عنها، وهذا يعني أن المستعمر مارس كل أنواع الابادة الجماعية على البشر والنبات والحيوان ولم يترك شيء إلا ونكل به، وهدفه واضح جدا وهو جعل سكان المنطقة المبادة عبرة للأخرين الذين يفكرون بالخروج على سلطة المستعمر، ويقول هذا هو مصيركم إذا وقفتم ضدنا، فلن نترك لكم لا بيت يؤوي ولا مكان أمن ولا مصدر طعام إلا ويتم هدمه أو حرقه عليه.

فقطع رأس الشيخ بوزيان ورأس صديقه ورأس ابنه والتنكيل بهم ونقلهم إلى فرنسا لتقام عليهم دراسة أنثروبولوجية، ثم حفظهم في علبة لمدة أكثر من قرن ونصف من الزمان ما هو إلا أبشع أنواع الجرائم ضد الإنسانية التي قام بها المستعمر الفرنسي، وأن تلك الجماجم التي تواجدت في فرنسا لأبطال الزعاطشة وغيرهم الكثير، لا تشهد إلا بتلك التضحيات المنقطعة النظير التي دافع بها أصحاب الأرض عن أرضهم، وفي نفس الوقت تشهد بالمجازر اللاإنسانية التي ارتكبها الاحتلال الفرنسي في ربوع كثيرة من الوطن (بلعزوز، 2018) وليس واحة الزعاطشة فقط، والتي ما هي إلا جزء منها، وهذا ما عمل الفيلم الوثائقي محل الدراسة حولها على توثيقه وابرازه للشعب الجزائري ليظهر لهم بشاعة الاستعمار، ويزيد من مقتهم له.

الجدول الخامس: يوضح أهم مصادر المعلومات التي تم تضمينها في الفيلم الوثائقي محل الدراسة

مصدر المعلومات	التكرار	النسبة
كتابات مؤرخين	25	%44.6
مذكرات مجاهدين	7	%12.5
مذكرات جنود فرنسيين	24	%42.8
المجموع	56	%100

من خلال الجدول الموضح أعلاه والمتعلق بأهم مصادر المعلومات التي تم تضمينها في الفيلم الوثائقي كشاهد تاريخي على تلك المرحلة، نجد أن الاستشهاد بكتابات المؤرخين جاء في المرتبة الأولى بنسبة 44.6% من مجموع المصادر المذكورة، تلها الاستشهاد بمذكرات الجنود والضباط الفرنسيين الذين شهدوا مرحلة المقاومة والإبادة بنسبة 42.8% بالإضافة إلى مذكرات وأشعار بعض المجاهدين بنسبة 12.5% من مجموعة المصادر المذكورة، ومنه يمكن لنا القول بأن المصادر كانت متعددة من خلال كتابات المؤرخين الجزائريين في كتبهم حول ثورة الزعاطشة وأيضا من خلال مذكرات الجنود والضباط الفرنسيين الذين حضروا تلك الإبادة، والتي ترى في معظمها أنه كان انتقام قاصيا جدا من المقاومة الشعبية للزعاطشة، وأن النصر الذي حققه المستعمر أنذاك كان مخزيا

جدا، لكن بالرغم من ذلك إن فرنسا استطاعت أن تمحى الزعاطشة من الوجود، لكن لم تستطع أن تمحيهم من الوجود والدليل على ذلك نحن نؤرخ لها اليوم كجزء مؤلم من تاريخ الاستعمار كما يقول مؤلف "كتاب ثورة الزعاطشة ستار أوعثماني".

الجدول السادس: يوضح أهم الشخصيات التي تم التركيز عليها في أحداث الفيلم الوثائقي محل الدراسة

الشخصيات الفاعلة	التكرار	النسبة
أساتذة جامعيون	36	%43.4
ممثلون مسرحيون	33	%39.7
أبناء المنطقة	14	%16.9
المجموع	83	%100

من الجدول الموضح لأهم الشخصيات التي تم التركيز عليها في أحداث الفيلم الوثائقي محل الدراسة، نجد أن الأساتذة الجامعيون كانوا في مقدمة هذه الشخصيات بنسبة 43.4% خاصة المتخصصين في تاريخ المنطقة وكانوا من جامعات جزائرية مختلفة خاصة جامعة بسكرة ولهم مؤلفات مهتمة بتاريخ تلك المنطقة خاصة مؤلف كتاب ثورة الزعاطشة والذي كان له الحضور الأبرز في سرد أحداث تلك المرحلة كرونولوجيا، جاء في المرتبة الثانية ممثلون مسرحيون كأهم الشخصيات الحاضرة في الفيلم الوثائقي بنسبة 39.7% وهذا نظرا للمشاهدة التي تم تصورها لتجسيد شخصية الشيخ بوزيان وبعض معاونوه وكيف كان يتحرك ويفكر والطريقة التي أعلن بها الجهاد والمقاومة في وجه الاستعمار، والتي تم تكرارها في الفيلم لأكثر من مرة حتى تضيف إلى الفيلم نوعا من الواقعية على المشاهد المصورة والتي تسرد ما وقع في تلك المرحلة بالفعل، بالإضافة الى التحدث مع بعض أفراد المنطقة وكان حضورهم بنسبة 16.9% وهذا من خلال الحديث مع بعض الأئمة وشيوخ المنطقة وبعض أحفاد عائلة الشيخ بوزيان، وهذا يعتبر تكريما لهم نتيجة لتضحية أجدادهم فالشيخ بوزيان قطع رأسه لتبقى رؤوس الجزائريين مرفوعة كما قل أحد الأساتذة الذين تم الاستماع إليهم في الفيلم.

الجدول السابع: يوضح الأهداف التي يسعى الفيلم الوثائقي محل الدراسة الى تحقيقها

الأهداف	التكرار	النسبة
توثيق علاقة المواطن الجزائري بتاريخه	25	%40.3
إعادة تصوير التاريخ في شكل درامي	22	%35.5
تكوين رأي عام حول تلك المرحلة	15	%24.2
المجموع	62	%100

من الجدول الموضح للأهداف التي يسعى الفيلم الوثائقي محل الدراسة الى تحقيقها والتي كانت مضمنة فيه بشكل غير صريح من خلال العرض التسلسلي لأحداث المقاومة الشعبية، نجد أن هدف توثيق علاقة المواطن الجزائري بتاريخه جاء في المرتبة الأولى بنسبة 40.3% وهذا من خلال اعادة بناء تلك الحقائق وتكرارها على مسامع المواطن الجزائري على مر الأجيال حتى يحتفظ بها في

ذاكرته ولا ينساها أبد، بالإضافة إلى هدف إعادة تشكيل التاريخ بشكل درامي وجاء في المرتبة الثانية بنسبة 35.5% من مجموع الأهداف، وهذا من خلال تلك المشاهد التمثيلية التي أضفت بعض الواقعية للفيلم الوثائقي وساهمة في ايصال المعنى الحقيقي المراد من الفيلم كمشاهد حصرت الممثل الذي أدى دور الشيخ بوزيان على بشاعة المشهد بعد إبادة مقاومة الزاعطشة.

وأخير هدف تكوين رأي عام حول تلك المرحلة وجاء بنسبة 24.2% من مجموع الأهداف، وهذا من خلال عرض إليهم الواقع الذي كان سائد في مرحلة المقاومة وما رافقه من مجازر تدين الاستعمار الذي إلى الأن لم يعترف بها حتى بعد تسليم جماجم أولئك المقاومين إلي الدولة الجزائرية وهو الأمر الذي يدينه بشدة، فكيف لك أن تهرب من الإدانة وأن تحتفظ بجماجم المقاومين الذين قتلتهم نظرا لأنهم دافعوا عن حقهم وأرضهم، ويبين للجزائريين أن المستعمر كان قاصيا جدا في التعامل مع أجداده المقاومين.

وخلاصة القول هنا أن للسينما سحر خاص يتسرب عبر العين إلى العقل، ومنه إلى الجسد الذي يتفاعل معها بحسب قوة الحدث التاريخي أو ضعفه، فالمتلقي له يصبح وكأنه يعيش الواقع ويوثق صلته به ويندمج معه، حتى أن التفاعل الذي يترجمه الجسد بناء على ذلك في شكل تأثر بما يعرض، يستحضره العقل لحظة تذكر الحدث، وهذا الأمر الذي يجعل الصورة أقوى من غيرها على حفظ التاريخ وتملكه، وجعله يعيش من خلال هذه الصورة السينمائية في واقع المتلقي، فهي أبلغ تعبيرا من اللغة التي مهما يكن شكل خطابها، تظل قاصرة وأقل حدة من التعبير الذي تنقله الصورة (طبي، 2021) والتي تضفى نوعا من الحياة على تلك المشاهد التاريخية وتجعل المتلقي يندمج فيها بكل جوارحه، حتى أنه يشعر بكثير من الأحيان ويتمنى أنه لو كان مع المجاهدين والمقاومين في تلك المرحلة وشارك معهم في المقاومة، وبالفعل؛ من خلال تصوير تلك المرحلة من التاريخ في شكل واقعي تجعل المتلقي يوثق صلته بتلك المرحلة من تاريخه ويتذكر ويفتخر بأمجاد أجداده.

الجدول الثامن: يوضح القيم التاريخية التي يحاول الفيلم الوثائقي ترسيخها لدى الجمهور المتلقي

القيم التاريخية	التكرار	النسبة
المقاومة	30	%32
الصمود	25	%26.6
الترابط الاجتماعي	16	%17
بطولات الأجداد	23	%24.5
المجموع	94	%100

يوضح لنا هذا الجدول المتعلق القيم التاريخية التي حاول الفيلم ترسيخها لد الجمهور الجزائري الذي يتابعه، حيث ركز على قيمة المقاومة بمختلف أنواعها وهذا بنسبة 32% من مجموع القيم المستحضرة في الفيلم الوثائقي، وهي من أكثر القيم حضورا والتي توضح أن الشعب الجزائري كان ومزال لا يرضخ لكل من يريد أن يتسلط عليه ويتحكم فيه بقوة، وأيضا ركز على قيمة الصمود وهذا بنسبة 26.6% من مجموع القيم، وهذا للدلالة على صمود المقاومين أمام كل ما واجهوه من قوة تدميرية وعسكرية كبرى للاستعمار إلى أن ارتقوا شهداء ولم يستسلموا أو يساوموا على أرضهم وأنفسهم، وأيضا نجد أن الفيلم يعمل على تمجيد بطولات الأجداد كقيمة تاريخية بنسبة 24.5% وهذا من خلال ابراز شهامتهم وبسالتهم في القتال، فالشيخ بوزيان كان بارعا في الرماية

بالإضافة إلى تمتعه بكاريزمية شخصية مكنته من أن يعين شيخا على منطقة الزعاطشة ورفضه التام للاستعمار وعم رضوخه له والوقوف ضد مخطاطاته القذرة، بالإضافة إلى قيمة الترابط الاجتماعي بنسبة 17% من مجموع القيم، وهذا من خلال الحديث عن تلبية نداء الشيخ بوزيان للجهاد من كل أفراد منطقة الزعاطشة وليس هذا فحسب بل تم تلبية نداءه من الكثير من المناطق المجاورة، وما فعله البدو من خلال خروجهم عن القائد المعين من فرنسا في منطقة بسكرة، حينما هاجموا العديد من قوافل الإمداد والمؤن الموجهة للجيش الذي يحاصر الزعاطشة إلا مثالا على التلاحم الاجتماعي بين أبناء هذا الوطن.

إن الحديث عن هذه القيم والتركيز عليها في الفيلم الوثائقي محل الدراسة ما هو إلا رغبة من طرف مخرج الفيلم والقناة التي تعرضه لترسيخ هذه القيم لدى المجتمع الجزائري اليوم حتى يتشبه بأجدادهم ويكونوا خير خلف لخير سلف من المقاومين.

الجدول التاسع: يوضح الخلفية المرجعية انطلق منها الفيلم الوثائقي محل الدراسة

الخلفية المرجعية	التكرار	النسبة
تقديس التاريخ	22	%51.2
نبذ الاستعمار	21	%48.8
المجموع	43	%100

من خلال الجدول أعلاه والمتعلق بالخلفية المرجعية التي انطلق منها الفيلم الوثائقي محل الدراسة، نجد أن مرجعية تقديس التاريخ كانت حاضرة بقوة بنسبة 51.2% وهذا من خلال وضع التاريخ الجزائري كشيء مقدس لا يمكن تجاوزه خاصة في تضحيات الشهداء والمجاهدين الذين قوموا الاستعمار بكل ما أوتوا من قوة، ودون خوف أو رهبة لما سيحدث لهم من عقاب وانتقام منهم من قبل المستعمر، بالإضافة الى مرجعية نبذ الاستعمار وهذا بنسبة 48.8% من محتوى الفيلم من خلال تصوير كل الممارسات البشعة التي كان يمارسها من قتل وتعذيب وتدمير للأرزاق والمنازل، بل والتنكيل بجثث المقاومين وقطع رؤوسهم واللعب بها، مما يعمل على تصوير الاستعمار كوحش مرعب يجب مقاومته أين ما وجد في هذا العالم.

وهذين المرجعيتين لا تحددان توجه فيلم معركة الزعاطشة كفيلم وثائقي يعيد إحياء تاريخ الجزائر الموؤد، بل نجدهما حاضرين في معظم الأفلام التاريخية التي تحدثت عن المقاومات الشعبية بمختلف أنواعها بالإضافة إلى تلك الأفلام التي تحدثت عن الثورة التحريرية وكل ما حدث فيها، من خلال الانطلاق منها كشيء مقدس يجب الحفاظ عليه بالإضافة إلى نبذ كل ما له علاقة بالمستعمر وتمجيده.

نتائج الدراسة الميدانية:

من خلال ما تم عرضه من تحليل للبيانات المستخرجة من الفيلم الوثائقي معركة الزعاطشة يمكن لنا أن نخرج بمجموعة من النتائج نلخصها في النقاط التالية:

- ✓ تساهم الأفلام الوثائقية التاريخية في إعادة احياء التاريخ في شكل واقعي ودرامي من أجل أن تنقله للمشاهد وكأنه الواقع، حتى تمكن الجمهور الملتقى للفيلم من الاندماج داخله.

- ✓ من أهم المواضيع التي تتمحور حولها الأفلام الوثائقية التاريخية وتسعى إلى ابرازها بقوة في محتوى الفيلم، هو موضوع الثورة والمقاومات الشعبية بمختلف أشكالها سواء الدينية أو الثقافية أو المقاومة العسكرية، بالإضافة إلى التركيز أكثر على موضوع الإبادة الجماعية التي واجهها الشعب الجزائري الثائر على الاستعمار من قتل وتهديم للبيوت وقطع للأرزاق
- ✓ تعددت المصادر التي استخدمها الفيلم في سرد وتوثيق أحداثه من كتابات بعض المؤرخين الجزائريين الذين تمحورت أعمالهم حول تاريخ المنطقة المدروسة بالإضافة إلى الاستشهاد ببعض مقولات ومذكرات الجنود والضباط الفرنسيين الذين شهدوا الحادثة، إذ كانت تلك المذكرات دليلا على جرائمهم التي مارسوها ضد المقاومين، بالإضافة إلى الاستشهاد بكتابات بعض المجاهدين الذين عاصروا الحدث كمراسلات الشيخ بوزيان وعبد الحفيظ الخنقى والتي تبين لحمة الجزائريين وكيف صمدو أمام الاستعمار.
- ✓ تعددت الشخصيات التي تم التركيز عليها في الأفلام الوثائقية والفيلم محل الدراسة بين أساتذة جامعيون ومؤرخين مهتمين بالبحث في القضية المنجز حولها الفيلم وهي قضية المقاومات الشعبية، بالإضافة إلى الاستعانة بممثلين مسرحيين حتى يمثلوا بعض الأدوار المتعلقة الشخصيات الثورية كالشيخ بوزيان وابنه وهذا ما يضفي واقعية على الفيلم الوثائقي، وأيضا الاستعانة ببعض الشخصيات كأحفاد الشيخ بوزيان لسرد بطولات المقاومين كما حكاها لهم الأجداد والتي تناقلوها جيلا بعد جيل.
- ✓ للأفلام الوثائقية التي تم انجازها حول تاريخ المجتمع الجزائري العديد من الأهداف والتي تتمثل في إعادة تذكير الجزائريين بتاريخهم حتى لا ينسوه من خلال تعريفهم على بسالة جنود المقاومات الشعبية وعما واجهوه نظير دفاعهم عن أرض وطنهم وعدم التسليم فيها للمستعمر، بالإضافة إلى أن الافلام التاريخية تعمل على إعادة بناء التاريخ كما تم روايته بكل موضوعية حتى تحافظ على الذاكرة الوطنية للمجتمع الجزائري لأجيال وأجيال قادمة.

4. خاتمة:

يعد الفيلم الوثائقي أحد أنواع السينما التي تعمل على إعادة استرجاع الماضي من خلال تصويره في شكل درامي واقعي يعيد تشكيل التاريخ من جديد، ونقله للمتلقي حتى يتعرف على أمجاد أجداده المقاومين ويعيد استرجاع ذاكرته الجمعية والتي يكون التاريخ جزاء منها خاصة فيما يتعلق بتمجيد التضحيات التي قام بها المقاومون في كل ربوع الوطن، والافتخار بها اليوم باعتبارها جزء من ذات المجتمع الجزائري بصفة عامة.

حتى أن السينمائي بشكل عام والفيلم الوثائقي التاريخي بشكل خاص، حينما يصور أو ينقل لنا مشهد من التاريخ، يجعلنا من خلال تلك الصورة الحية التي ينقلها نعيش تجربة فريدة من نوعها تجعلك كمتلقي تتمنى أنه لوكنت مع المقاومين في تلك المرحلة من الزمن وتجاهد معهم وتواجه الاستعمار بكل بسالة كما يواجهونه هم. لذلك فمهمة الحفاظ على الذاكرة من خلال الفلم الوثائقي تكون من خلال تعزيز التجربة الروحية للمتلقي حتى يندمج داخل الفيلم ويتعرف لتاريخه عن قرب وهذا يؤهل الملتقى لأن يحفظ تاريخه بنفسه.

5. قائمة المراجع:

1. الترا الجزائر، 24 أوت, 2024، ملحمة الزعاطشة" على التلفزيون العمومي.. الفلاح الذي أذل جنود فرنسا لـ6 أشهر، تم الاسترداد من موقع الترا الجزائر، https://n9.cl/o8jeg: https://n9.cl/o8jeg
2. العربي بلعزوز، مقاومة الشيخ بوزيان بالزعاطشة1849 في ضوء الكتابات الأجنبية، عصور الجديدة، 08(01)، 2018؛
3. بريك خديجة، الفيلم الوثائقي ..مداخل للفهم والتفسير؛ آفاق سينمائية، 08(03)، 2021؛
4. بوخاري حفيظة، بلعباس نريمان، السينما الوثائقية الجديدة: قراءة في المنطلقات و الأبعاد، الصورة والاتصال، 05(17)، 2016؛
5. جبلي علي عبد الرزاق. (2012). المناهج الكمية والكيفية في علم الاجتماع، (الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2012)؛
6. جوني دانيال، أساسيات اختيار العينة في البحوث العلمية، ترجمة طارق عبد الرحمان، (معهد الإدارة العامة مركز البحوث، 2015)؛
7. ستار أوعثماني، وثيقتان للشيخ بوزيان عن ثورة الزعاطشة، مجلة المرآة، 04(01)،2023؛
8. عليوش قربوع بشرى، مزيز صورية، مفاهيم وقضايا حول المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي 1830-1962، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 07(02)، 2023؛
9. منير طبي، المقاومة الشعبية ضد المستعمر الفرنسي في السينما الجزائرية دراسة نقدية لفيلم الشيخ بوعمامة، مجلة الاعلام والمجتمع، 05(02)، ديسمبر 2021؛
10. مياسي إبراهيم، ثورة الزعاطشة 1848، مجلة الدراسات التاريخية، 08(01)، 2000؛
11. يوسف تمار، أصول تحليل المضمون وتقنياته، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2017)؛